التاريخ الدبلوماسي للمغرب

من أقدم العصور إلى اليوم



المجلد التاسع
عهد العلويين
1

تأليف
عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

1988 - 1408

وقد ظهرت بوادر انفراج جديدة في العلاقات المغربية الفرنسية في أعقاب تعيين القنصل الفرنسي الجديد جان بيريليي (Jean Périllié) الذي وصل إلى مدينة سلا أواخر سنة 1703 حيث نجد رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى لويز الرابع عشر بتاريخ 10 رمضان 1115 = 17 يناير 1704 يخبر فيها العاهل الفرنسي أنه استقبل سفيره بيريليي ووعده بإعطاء سائر التسهيلات الضرورية ليقوم بمهمته الجديدة...

وقد أخذت المفاوضات المغربية طريقها... وهكذا نجد رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى لويز من مكناس بتاريخ أواسط جمادى الثانية 1123 = 14 ـ 15 يوليه 1711 يخبر فيها ملك فرنسا بأنه توصل برسالته التي يعرب فيها عن رغبته في إنشاء اتفاقية سلام بين البلدين وافتداء الأسرى الفرنسيين...

☆ ☆ ☆

وبالرغم من أن البلاد تعرّضت في أعقاب وفاة السلطان المولى اسماعيل 28 رجب 1139 إلى رجات داخلية عنيفة فقد استمرت المراسلات مع البلاط الفرنسي

وقد آل الحكم إلى السلطان المولى عبد الله سنة 7 رمضان 1141 = 1729 الذي واجه عدداً من المشاكل الداخلية.

وقد قرأنا، في صدر ما قرأنا عن أيامه، نصّ رسالة استنجاد بعث بها بعض الأسرى المغاربة الذين يوجدون في فرنسا... وكانت الرسالة تحمل تاريخ 28 شعبان 1145 = 13 يبراير 1733، وكلها توسل إلى السلطان مولاي عبد الله الذي نعرف عن مدى تأثره لمثل هذه الحالات المحزنة...

ومن هنا نجد رسالة وزيره محمد السلاوي إلى وزير الملك لويز الخامس عشر إلى تاريخ 27 جمادى الأُولى 1146 = 5 نونبر 1733، وفيها يخبره بورود مبعوثٍ من فرنسا لإبرام اتفاقية سلام بين البلدين تستهدف الإفراج عن الأسرى من الطرفين...

رسالة من لويز الخامس عشر
إلى السلطانة خناثة...

ويحتفظ الأرشيف الفرنسي بنص الرسالة التي تحمل تاريخ 13 شتنبر 1734 = 14 ربيع الثاني 1147 والتي كانت موجهة إلى أم السلطان مولاي عبد الله، التي كان لها نفوذ كبير في البلاط الملكي.

وقد تسمّي المصادر الفرنسية لالّة خناثة (كونيطا).

وقد اهتم الباحثون في تاريخ المغرب بهذه الرسالة التي نعت فيها لويز الرابع عشر الأميرة المغربية بأنها : «السلطانة الأعظم».

وعلماً منه بالدور الذي كانت تقوم به لالة خناثة، كان ملك فرنسا يأمل الإحراز على تأييدها في بعض القضايا... وتوجد نسخة بالفرنسية من هذه الرسالة في الأرشيفات الوطنية، في مصادر الشؤون الخارجية، وهناك ترجمة لها بالعربية في الخزانة الوطنية بباريز.

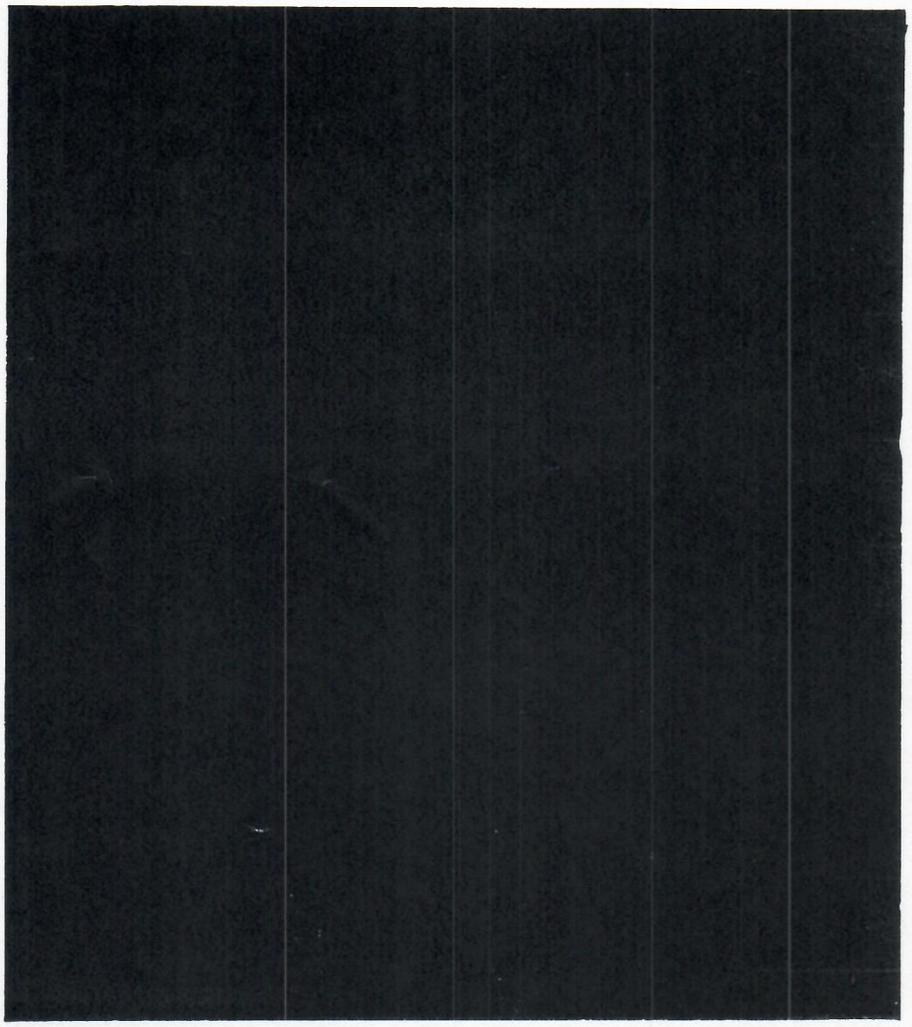

Voir lettre page suivante

رسالة من لويز الخامس عشر
إلى السلطانة خناثة...

و يحتفظ الأرشيف الفرنسي بنص الرسالة التي تحمل تاريخ 13 شتنبر 1734 = 14 ربيع الثاني 1147 و التي كانت موجهة إلى أم السلطان مولاي عبد الله، التي كان لها نفوذ كبير في البلاط الملكي.

وقد تسمّى المصادر الفرنسية لالّة خناثة (كونيطا).

وقد اهتم الباحثون في تاريخ المغرب بهذه الرسالة التي نعت فيها لويز الرابع عشر الأميرة المغربية بأنها : السلطانة الأعظم.

وعلما منه بالدور الذي كانت تقوم به لالة خناثة، كان ملك فرنسا يأمل الإحراز على تأييدها في بعض القضايا... وتوجد نسخة بالفرنسية من هذه الرسالة في الأرشيفات الوطنية، في مصادر الشؤون الخارجية. وهناك ترجمة لها بالعربية في الخزانة الوطنية بباريز.

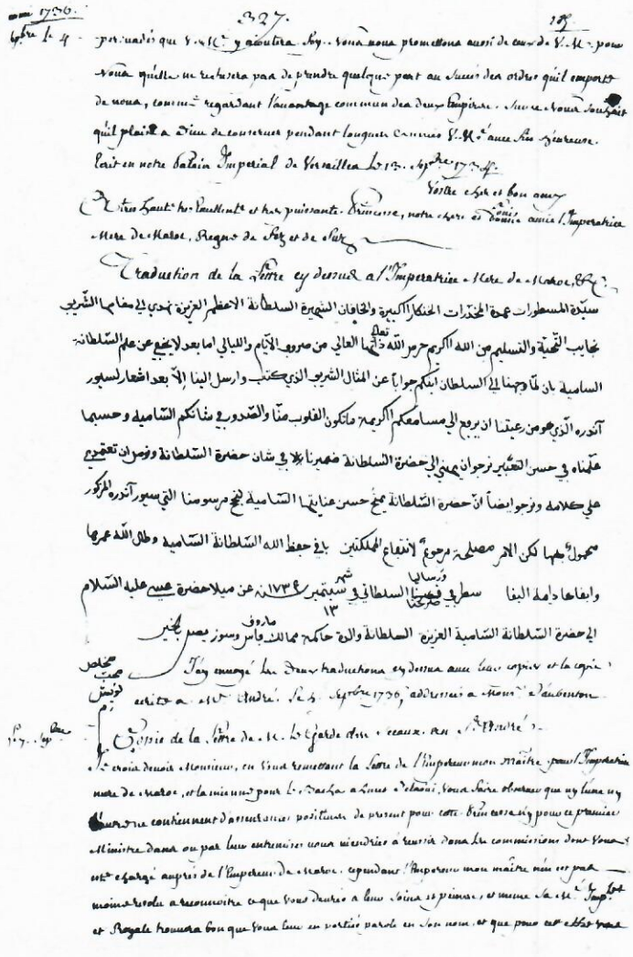

ويعتبر السلطان سيدي محمد بن عبد الله أو (محمد الثالث) أبرز شخصية دولية في العصر العلوي الأول بما أوتيه من قوة شخصية وبعد نظر، وقد عرف عهده بأنه العهد الدبلوماسي للمملكة المغربية.

الاتفاقية المغربية الفرنسية
1767 = 1180

وقد ورد على المغرب سفيرٌ هو الكونط دوبرونيون (Comte de Breugnon) وتم إبرام اتفاقية سلامٍ بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبين لويز الخامس عشر بتاريخ 29 ذي الحجة 1180 = 28 مايه 1767، وقد أثبت نصَّها الكامل النقيب ابن زيدان في كتابه الإتحاف.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أهمية الفصل التاسع الذي يضمن حياد فرنسا في حالة وقوع حرب بين المغرب والولايات العثمانية الحليفة لفرنسا...

إن بعض المؤرخين الفرنسيين وفي صدرهم كور (Cour) يعتقد أن هذا نصر مبين للملك محمد الثالث، وأن هذا الهدف كان يسعى إليه من قديم السلطان مولاي اسماعيل...

وبمناسبة وفاة لويز الخامس عشر بعث العاهل برسالة إلى لويز السادس عشر وكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية 1188 = 18 غشت 1774 جواباً عن رسالة لويز بتاريخ 12 مايه 1774 وفيها يخبره بوصول الرسالة التي ينعي فيها الملك لويز الخامس عشر الفرنسي السابق، وهو لأجل ذلك يتقدَّم بالتعازي إلى الملك الجديد ويجدد معه العهد. وقد حمل الرسالة إلى فيرساي عبد الله شكالانط...

ويدلّ على الجو الممتاز الذي كانت تعيشه العلاقات بين المملكة المغربية والولايات العامة على عهد السلطان مولاي إسماعيل دعوة البعثة المغربية - لحضور أمسية كالا - من لدن الأميرة زوجة أمير أُورانج، وابنة كَيوم الثالث الذي أصبح ملكاً لأنجلترا، كانت البعثة تتألف من أربعة دبلوماسيين أرسلهم السلطان المذكور، وقد جرت هذه الأُمسية في قصر «وِيس طِن بوش (HUIS TEN BOSCH) - دار الغابة، القصر القريب من لاهي حيث تقيم اليوم الملكة جوليانة عاهلة البلاد المنخفضة.[3]

وقد وجدنا رسالة مسهبة للسلطان مولاي اسماعيل بتاريخ 10 صفر 1097 = 6 يناير 1686 توجّه بها إلى الولايات القائد حسن أشكيرد حول صفقة أسلحة اشتراها المغرب لكنها لم توافق الغرض المطلوب، وتتحدث الرسالة عن السفينة الفلامنكية التي استولى عليها الرئيس عليّ حَكَم والتي أعادها العاهل إلى الولايات اعتباراً للصلات التي تجمع بين الطرفين...

كذلك نجد رسالة منه بتاريخ 27 جمادى الأُولى 1099 = 30 مارس 1688 تخبر بوصول جواب الولايات بواسطة حسن أشكيرد الذي نقل إلى العاهل عواطف الحكام، وهو يعد الفلامنك بإبرام اتفاقية أخرى متى ما استجابت الولايات لطلب العاهل المغربي.

وتأتي رسالة أُخرى بتاريخ 15 ذي القعدة 1101 = 20 غشت 1690 يهدد فيها السلطان مولاي اسماعيل بقطع الهدنة ! «إنّ ما ورد علينا من العدة مع المعلم ابن ديبة التطواني وحسن اشكيرد الرباطي لا خير فيها، لقد تكسَّرت سريعاً... يضاف إلى هذا أنكم لم تبعثوا لنا بالأسرى المسلمين الذين عندكم...

وقد ورد علينا قنصلكم جوان سميت يلتمس التريُّث وإبقاء الهدنة، وها نحن بعثنا لكم بخديمنا حاييم طوليدانو...

---

3) قدم نسخة اللوحة السيد سطرينجير سفير البلاد المنخفضة بالرباط إلى السيد عبد الرحمن بادو كاتب الدولة للشؤون الخارجية يوم 2 يونيه 1979 بمناسبة وداعه 27 Juin 2 (MAPI) المجلد الأول ص 215.

وفي هذا الموضوع أيضا وجدنا رسالةً من السلطان المولى إسماعيل إلى ديوان الفلامنك بتاريخ أوائل الثاني 1102 = 12 يناير 1690 حول توسيط حاييم طوليدانو وابن عمه إبراهيم ميمران لتحرير السفينة الفلامنكية الأمر الذي استجاب له العاهل المغربي الذي ينتظر نتيجةَ هذه المبادرة من الديوان.

وإلى جانب عددٍ من الرسائل المحررة ـ بصفة استثنائية ـ باللغة الإسبانية تتصل بحوادث القرصنة ينتقل بنا الأرشيف الوطني إلى أيام السلطان مولاي عبد الله حيث نجد رسالة إلى الولايات العامة بتاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 29 يوليه 1729 يخبر باعتماد سفيره التاجر إسحاق مشكيطة.

ومن الطريف أن نجد رسالة مرفوعة عن الأميرة خناثة بنت بكار إلى الولايات العامة بنفس التاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 19 يونيه 1729 حول مهمة السفير السابق وكأنها تأكيد من «لالة سيدنا نصره الله وأدام وجوده».

ونقف بعد هذا بتاريخ 23 محرم 1142 = 18 غشت 1729 على التوحيهات التي بعثها العاهل المغربي إلى الباشاطور الرايس الحاج عبد القادر بيريس السلوى فيما يتصل بالعلاقات المغربية الهولاندية.

ثم نجد رسالة بتاريخ 8 شوال 1142 = 26 أبريل 1730 حول تكليف بيريس ورفيقه الذمى عازَر بالتوجه إلى الولايات لشراء بعض المعدات الحربية....

وقد وقفت على الترجمة الكاملة للاتفاقية المغربية الهولاندية التي تتألف من خمسة عشر فصلاً وهي بتاريخ 8 نونبر 1730 = 27 ربيع الثاني 1143 بالرغم من أن ابن زيدان لم يجعل لها تاريخا[4].

والفرق بين ما عثرنا عليه في لاهاي وبين ما يوجد عند ابن زيدان أن النص الهولاندي وقعه الحاج عبد القادر بن المحمَّد بيريس بتحفظ هكذا : إذا رضى سيدنا نصره الله، بينما النص العربي في «الإتحاف» يذكر في المقدمة أن وكيل

4) الإتحاف 4، ص 484.

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا وبركاته

الى كافة الاصحاب والعلامين السلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاعلموا ان اخوانكم بكوا على ولدكم اصلحه الله
واثمر غرسه وتمرغوا بين ايديه وطلبوا الكلام معه
في فدية اخوانكم وفي قدومكم الينا بهديتكم فتشفعنا
فيهم واذنا بعد ذلك لدينا التاجر اسحاق شميكة
ان يقدم اليكم ويتكلم معكم لاننا تقنا به وبعثناه اليكم
فتيقنوا به فيما يقول لكم في جميع حوائجنا وفي
الهدية والفدية وكل من قدم معه الينا لا يكون الا خاطر
ويجيء في امان الله ويرجع في امان الله والسلام وكتب
في الثاني والعشرين من قعدة الحرام عام واحد واربعين ومائة والف

وكتب عن اذن السيدة لالات سيدنا نصره الله
وادام وجوده لسائر المسلمين خناثة بنت بكار كان الله

رسالة من السلطانة خناثة إلى الولايات العامة بتاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 19 يونيه 1729.
عن إذن لالاتْ سيدنا خناثة بنت بكار.

195

الملك هو القائد محمد لوقاش بينما كان وكيلا هولاندا هما الأخوان : لويس وفرانسيسكو باتلر (Butler).

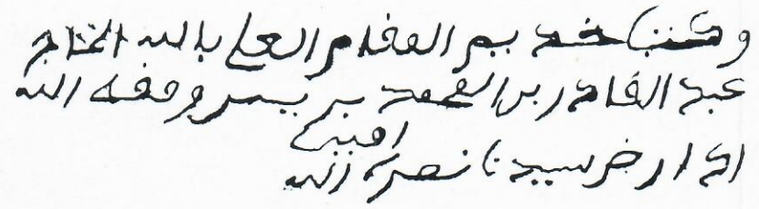

وقد صحب نصّ المعاهدة خطابٌ من السفير بيريس يفسّر فيه البواعث التي دفعت بالمغرب لإبرام هذه الاتفاقية بعد أن طالت المفاوضات حولها...

وقد سجل التاريخ المغربي اسم شخصيَّةٍ وردت من لاهاي على المغرب بعد جلوس السلطان المولى عبد الله ابن اسماعيل على كرسي الحكم.

ويتعلق الأمر بالدوك دو ريبيردا (DE RIPERDA) الذي كان من رجال السياسة والاقتصاد في عصره، والذي طلب إلى أحد سفرائنا في لاهاي أن يتوسط له لدى السلطان المولى عبد الله من أجل الالتجاء إلى المغرب والبقاء على دينه والاحتفاظ بحريته قُرب أمواله... الأمر الذي وافق عليه المولى عبد الله ، الذي عهد إليه في أواخر ولايته الأُولى بمهمة سرية لدى تونس أيام الباي حسين حيث وصلها في المحرم 1147 = يونيه 1734 على أن يعود للمغرب فيدركه أجله بمدينة تطوان.[5]



الدوك دي ريبيردا (El Duque de Riperda)
من أكابر رجال السياسة والاقتصاد في عصره طلب من أحد سفرائنا في لاهاي أن يتوسط له لدى السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل من أجل الالتجاء إلى المغرب فوعد على ذلك، ولم يلبث أن عهد إليه بمهمة سرية من لدن سلطان المغرب لدى تونس التي وصلها في يونيه 1734 = محرم 1147 وقد أدركه أجله في تطوان.

5) داود : تاريخ تطوان III، 37.

وتتجمد العلاقات بين المغرب وهولاندا أثناء فترة التنافس على الحكم إلى أن يعود السلطان المولى عبد الله لكرسي الحكم في ولايته الرابعة، حيث نجد أثراً لوجود خبراء هولانديين حوالي سنة 1159 = 1746 بحصن المنكّب على باب أكّادير (إيغير)، ويتعلق الأمر بالرخامة التي توجد إلى الآن على الباب تحمل ذلك التاريخ المهم في الحياة السياسية والدبلوماسية للمغرب... لقد نقش على تلك الرخامة من جهة اليمين : (الحمد لله، على خاطر سيدنا المنصور بالله) بينما نقش على جهة اليسار هذه الكلمات : Vreest Godende Eert Den Konig.[6]



رخامة باب قصبة أكّادير

وبالإضافة إلى هذا نجد سفارةً هامة من هولاندا عام 1166 = أواخر عام 1752 برئاسة الآخوين الباشادور فرانسيسكو، ولويز بوتلير، (Butler) وردا على العاهل يحملان إليه رسالة الولايات مع فدية الأسرى الهولانديين... وكانت هذه مناسبة لعقد اتفاقية 14 محرم 1166 = 21 نونبر 1752.

وهو الأمر الذي تكشف عنه رسالة بتاريخ 28 محرم 1166 = 5 دجنبر 1752 بعثها السلطان المولى عبد الله إلى ليصطادوس السبعة ديوان الفلامنك المعظمين في جنسهم، تحمل بعد الحمدلة والتّصلية (عبد الله كان الله له)

6) د. التازي : أكّادير إيغير من خلال التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ندوة مدينة أكّادير الكبرى 10 ـ 12 أبريل 1986 جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكّادير.

وتختم بهذه العبارة : وما طلبتموه من المهادنة فها نحن معكم على عهد سيدنا الوالد قدّس الله روحه في الجنّة».[7]

وقد أورد صاحب الإتحاف[8] نص الاتفاقية 14 محرم 1166 = 21 نونبر 1752 كاملاً.

وقد وصلت في شهر شوال 1167 ـ يوليه، غشت 1754 رسالة من الولايات العامة مرفوقة بنص الاتفاقية المغربية الهولاندية بعد أن صادقت عليها الولايات إضافة إلى طائفة من الهدايا المرفوعة إلى السلطان المولى عبد الله...

وجواباً عن هذا كتب ملك المغرب برسالتين اثنتين بتاريخ 2 رجب 1168 = 14 أبريل 1755 إحداهما مرفوعة إلى الاصطادوس ديوان الفلامنك يخبر بأنه بأنه توصّل بالبراءة (الرسالة) صحبة الهدية بواسطة القنصل الهولاندي المقيم بتطوان ديميتري[9] وهو يشكر الولايات العامة على مبادرتها.

أما الرسالة الثانية فكانت موجهةً إلى القنصل المذكور نفسِه وتحمل نفس التاريخ، يخبره بتوصُّله بخطابه مع رسالة وهدية ديوان الولايات العامة... وقد وصل الجميع بواسطة أحمد المؤذن التطواني الذي أنفذه للقائد محمد لوكس (لوقاش)، ويطلب إليه العاهل بهذه المناسبة أن يعمل على أن يرسل للعاهل ألف قذيفة تكون من العيار الذي يتناسب مع المدفعين اللذين بعثت بهما الولايات

☆ ☆ ☆

ولم يمض وقت قليل على جلوس الملك محمد الثالث على العرش حتى وجدناه يتابع الاتّصال مع أصدقاء أسلافه : حكام الولايات العامة، وهكذا وجدنا رسالة محررة بمكناسة الزّيتون بتاريخ أواخر صفر 1172 = أواخر اكتوبر 1758 وتتضمن تأكيد المودّة والإخبار بتحرير سفينةٍ فلامنكية من لدن المجاهدين المغاربة بمجرد ماعلموا أن ركابها يحملون «باص بُرط» فلامنكياً.. وهو يخبر بإرسال سفيره محمد الرزيني التّطواني مصحوباً بالحاج أحمد الشفشاوني، وقد

---

7) الاستقصا ج 7، ص 184 ـ 185.

8) الإتحاف 4 ر 484.

9) كان ديميتري كوليتي يعمل صحبة أخيه جورج باتيفياتي ـ وهما يونانيان في الأصل ـ كوسانط بين الدول والمغرب، من حكاية أسير سويدي عام 1756 ص 14.